التوجيه النبوي فـي الائتلاف بقراءة القرآن الكريم
-دراسة تحليلية لحديث: ((فإذا اختلفتم فيه فقوموا عنه))-

The Prophetic Guidance for Affiliation via Recitation of the Glorious Qur'an

د. فهد طلال سليم الخالدي
كليـة الإمـام الأعظم رحمـه الله الجامعـة / نينوى

Dr. Fahad Talal Saleem
The greatest Imam College, may God have mercy on him, the University of Nineveh

Dooro626@gmail.com

تاريخ الاستلام ٢٠٢١/٤/١٨ تاريخ القبول ٢٠٢١/٥/٢٤

الكلمات المفتاحية: الحديث – اختلفتم – اقرؤوا – فقوموا عنه – ائتلفت

Keywords: hadith - you differ - read - rise up from it - disagree

الملخـــص

لقد توالت الآيات والأحاديث فـي رصِّ الصف وتوحيد الكلمـة، وأخذت النصوص تترى في ذم كل ما من شأنه تفريق وحدة المسلمين وتشتيتها.

فكل أمر ولو كان مستحسناً إذا صار سبباً في تفرقة الأمة فإنه يمسي منهياً عنه، كقراءة القرآن – والذي هو شاهدنا في بحثنا –، فإن قراءة القرآن إذا صارت مدعاةً لاختلاف المسلمين وافتراقهم بسبب سوء فهمهم لكلماته ومراده كانت محرمةً، وأُمِرَ القارئون بالقيام عن القرآن حتى لا يشتد الاختلاف ويكبر، فعَن جُنْدَبٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **((اقْرَؤُوا القرآن مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فيه فَقُومُوا عَنْهُ))**. فهذا الحديث يبعث بأنفسنا إلى أقصى درجات التأمل والتدبر، إنه عنوان فريد في قيادة الأمة، ودرسٌ راقٍ في مفاهيم التعامل مع فقه الواقع. لذا حرصت على الخوض في رحاب هذا النص الكريم وإخراجه بكل الأوجه المحتملة من تفسيره، من خلال البحث الموسوم: **التوجيه النبوي في الائتلاف بقراءة القرآن الكريم = دراسة تحليلية لحديث: ((فإذا اختلفتم فيه فقوموا عنه))**.

مستعرضاً فيه روايات الحديث ومفسراً معانيه؛ عارضاً الشروحات المتقدمة فيه وصولاً إلى الاوجه المختلفة في شرحه، ثم التركيز حول المختلفين في قراءة القرآن وما ورد فيهم، وتأكيد سلفنا الصالح حول تقديم اتفاق المسلمين ووحدتهم على اختلافهم؛ ولو استدعى الامرُ تركَهم لقراءة القرآن، معضِداً كل ذلك بالنصوص الاخرى المؤيدة، ومقسماً اياه على ثلاثة مباحث بمطالب سبعة ومختتمه بخاتمة تسطر أبرز النقاط التي تناولها البحث في ورقاته.

Abstract

{In the name of Allah Most Gracious Most Merciful}

Verses of the glorious Qur'an as well as prophetic traditions had mounted up urging consolidation of Muslim's rows and unity of their stance, on the other hand, there are multiplicity of scriptures abhorring all that might divide and scatter Muslims unity.

Everything –even if it was well accepted- would become prohibited if it causes dispersing of the Islamic nation. If we take recitation of the Glorious Qur'an – Which is the focus of this study- as an example to substantiate our view point, this recitation would become prohibited if it became a point of controversy between Muslims due to their different interpretation of its words. Moreover those who are reading the Qur'an would be ordered to stop to put an end to the dispute. Jundab narrated that the Prophet (pbuh) said: " Recite the Qur'an as long as your hearts are drawn towards it. When you feel drawn away from it, then stop reciting and get up".

This prophetic tradition takes our souls to the ultimate statuses of meditation, it is a unique mark of the leadership of this nation and a delicate lesson in the concept of how to deal with the jurisprudence of reality. According to what was mentioned earlier I made a decision to tackle this noble scripture and to study the different possible aspects of its interpretation, I entitled this research:

The Prophetic Guidance for Affiliation via Recitation of the Glorious Qur'an

I demonstrated different narratives of this tradition in addition to interpretations of its meanings, and I also focused on those who are in dispute about reading the Qur'an and their position accordingly. I also showed the assertion of our honorable ancestors (Salaf) of preferring the agreement of Muslims and their unity to their controversy, even if this means to give up reading the Qur'an. I substantiated all what was said with other prophetic traditions with the same attitude, dividing this research into three sections and seven subsections and finally concluding it with an abstract that enlists the most important points throughout the papers of this study.

المقـــدمـة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، وبعد:

فإن (أهمية البحث) تكمن في أنه ليس ثمة أمرٌ أدعى إلى قيام صرح الإسلام وتمكين المسلمين في الأرض؛ مِنْ وحدتهم، وإنَّ جَمْعَتَهم سِرُّ رفعتهم، واتفاقهم مخُ قوتهم، فلم يَسْرِ الهوان إلى أمتنا إلا حين تفرقت، ولم تُنْخَرْ قواها إلا حين تنازعت. لذلك توالت الآيات والأحاديث في رصِّ الصف وتوحيد الكلمة، وأخذت النصوص تترى في ذم كل ما من شأنه تفريق وحدة المسلمين وتشتيتها.

ويمكن أن نستنبط أن الأمر أحياناً ولو كان مستحسناً في ذاته إذا صار سبباً في تفرقة الأمة فإنه يمسي منهياً عنه مكروهاً، وأحياناً يكون الأمر مستقبحاً في ذاته فإذا صار سبباً في توحيد المسلمين فإنه يضحى مستحسناً مندوباً، فهذا كالكذب فهو شر الخصال وقبيحها إلا أنه يغدو عبادةً حين يسخر في الاصلاح والجمع بين المسلمين[1].

وذلك كقراءة القرآن الكريم – والذي هو شاهدنا في بحثنا –، وهو أيضاً (مشكلة البحث) فإن قراءة القرآن إذا صارت مدعاةً لاختلاف المسلمين وافتراقهم بسبب فهمهم لكلماته ومراد الله تعالى منه كانت محرمةً، وأُمِرَ القارئون بالقيام عن القرآن؛ حتى لا يشتد الاختلاف ويكبر، فعَن جُنْدَبٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((اقْرَؤُوا القرآن مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فيه فَقُومُوا عَنْهُ)). فالحق أقول: إن هذا الحديث ليبعث بأنفسنا إلى أقصى درجات

---

(١) عَنْ أَسْمَاءَ بِنْت يَزِيدَ ﷺا؛ قالت: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((لاَ يَحِلُّ الْكَذِبُ إِلاَّ فِي ثَلاَثٍ: يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا، وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ، وَالْكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ)). أخرجه التِّرمِذي، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي، أبو عيسى، ت٢٧٩هـ، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م: ٣٩٥/٣ برقم (١٩٣٩)، واللفظ له، وأحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، ت٢٤١هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ: ٤٥٩/٦ برقم (٢٧٦٣٨). وقوله ﷺ: ((لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَو يَقُولُ خَيْرًا)) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، ت ٢٥٦هـ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ: ٩٥٨/٢ برقم (٢٥٤٦)، ومسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت٢٦١هـ، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ: ٢٨/٨ برقم (١٠١).

التأمل والتدبر، إنه عنوان فريد في قيادة الأمة، ودرسٌ راقٍ في مفاهيم التعامل مع فقه الواقع ونبذ الفرقة والتنازع. لذا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ))[١]، وَكَانَ التَّنَازُعُ وَالِاخْتِلَافُ أَشَدَّ شَيْءٍ عَلَى النبي ﷺ، وَكَانَ إذا رَأَى مِنْ الصَّحَابَةِ اخْتِلَافًا يَسِيرًا فِي فَهْمِ النُّصُوصِ يَظْهَرُ فِي وَجْهِهِ حَتَّى كَأَنَّمَا فُقِئَ فِيهِ حَبُّ الرُّمَّانِ وَيَقُولُ ﷺ: ((أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ؟))[٢].

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الِاخْتِلَافَ مُنَافٍ لِمَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ)[٣]. وأحمدُ اللهَ أن يسر لي هذا الصنيع، والذي يبرز (هدف البحث) لأبعث من خلاله رسائل نبوية في كيفية إدارة الاختلافات وحلّها، وأهم وأبرز تلك الرسائل هو الحديث النبوي الذي ذكرناه آنفا، والذي يأمر بالقيام عن القرآن الكريم وقراءته إذا ما أسفرت قراءتُنا – لخطأٍ فينا – عن نشوب اختلاف فيما بيننا، فجاء البحث الموسوم:

التوجيه النبوي في الائتلاف بقراءة القرآن الكريم

–دراسة تحليلية لحديث: ((فإذا اختلفتم فيه فقوموا عنه))–

مستعرضاً فيه روايات الحديث ومفسراً معانيه؛ عارضاً الشروحات المتقدمة فيه وصولاً إلى الأوجه المختلفة في شرحه، ثم التركيز حول المختلفين في قراءة القرآن وما ورد فيهم، وتأكيد سلفنا الصالح حول تقديم اتفاق المسلمين ووحدتهم على اختلافهم؛ ولو استدعى الامرُ تركَهم لقراءة القرآن، معضِداً كل ذلك بالنصوص الاخرى المؤيدة، لذا جاءت خطة البحث على مبحثين، وهما: المبحث الاول: بيان أوجه الرواية. وأما المبحث الثاني: الفوائد المستنبطة، ففيه أربعة مطالب. ثم مختتماً البحث بخاتمة تسطر أبرز النقاط التي تناولها البحث في ورقاته. راجياً الله ربي قبوله ونفعه ونوره ورضاه.

وصلى الله وسلم على نبينا ورسولنا محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) أخرجه مسلم: ٣٠/٢٠ برقم (١٠٠٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت ٢٧٣هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت: ٣٣/١ برقم (٨٥)، وأحمد: ١٩٥/٢ برقم (٦٨٤٥)، وقال شعيب: صحيح.

(٣) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب، شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ: ١٩٧/١–١٩٨، بتصرف.

المبحث الاول

بيان أوجه الرواية

المطلب الأول: أوجه الحديث ورواياته

لم تختلف روايات الحديث الشريف اختلافاً متنياً كثيراً، فألفاظ الحديث اختلفت بزيادة لفظة أو لفظتين، وإنما وقع الاختلاف فيها في الرفع[1] والوقف[2]، فهل هو مرفوع أو موقوف؟، لأنَّ منهم مَنْ رفعها موصولةً إلى رسول الله ﷺ ومنهم مَنْ أوقفها على الصحابي، وازداد الاختلاف عمقاً حين كان الوصل من طريق الصحابي نفسه (جندب بن عبد الله البجلي ﷺ) الذي جاء الوقف عليه.

وسنعرض هنا الروايات الموصولة والروايات الموقوفة بألفاظها وطرقها ثم نتطرق إلى الرواة الرافعين والمُوْقِفين في المطلب التالي.

۞= الروايات المرفوعة وألفاظها:

الروايات كلها من طريق أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ جُنْدَبٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، لكن ثمة اختلافات في ألفاظها، وهي:

١. ((اقْرَؤُوا القرآن مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ)).

هذه الرواية تنتهي بلفظة (عنه) آخر الحديث، وهي لدى البخاري.

٢. ((اقْرَؤُوا القرآن مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا)).

وهذه الرواية بزيادة لفظة (فيه) بعد قوله (اخْتَلَفْتُمْ) وبدون لفظة (عنه)، وهي لدى مسلم والدارمي.

٣. ((اقْرَؤُوا القرآن مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا عنه)).

وهذه الرواية بوجود المجرورات الثلاثة (عليه، فيه، عنه)، وهي لدى النسائي.

٤. ((اقْرَءُوا القرآن مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ عَلَيْهِ فَقُومُوا)).

وهذه الرواية بلفظة (عليه) بدلاً من (فيه)، وهي لدى النسائي.

٥. ((اقْرَءُوا القرآن مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا)).

وهذه الرواية بدون لفظة (عليه)، وهي لدى البخاري ومسلم وأحمد.

٦. ((اقْرَءُوا القرآن مَا ائْتَلَفْتُمْ عَلَيْهِ ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا)).

---

(١) الحَدِيْثُ الْمَرْفُوع: هُوَ مَا أُضِيفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاصَّةً. [ينظر: معرفة أنواع علوم الحديث، (مقدمة ابن الصلاح)، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمر، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، ت٦٤٣هـ، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، ١٤٠٦هـ: ٤٥].

(٢) الحَدِيْثُ الْمَوْقُوف: هُوَ مَا يُرْوَى عَنِ الصَّحَابَةِ ﷺ مِنْ أَقْوَالِهِمْ أَوْ أَفْعَالِهِمْ وَنَحْوِهَا، فَيُوقَفُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُتَجَاوَزُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. [ينظر: مقدمة ابن الصلاح: ٤٦].

وهذه الرواية بلفظة (ائْتَلَفْتُمْ) بدون لفظة (قلوبكم)، وهي لدى الدارمي.

٧. ((اجْتَمِعُوا عَلَى القرآن مَا ائْتَلَفْتُمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ عَلَيْهِ فَقُومُوا)).

وهذه الرواية بلفظة ((اجتمعوا على القرآن))، وهي لدى النسائي.

۞= <u>التخريج</u>: أخرجها كلٌّ مِنْ:

- الإمام البُخَارِي: من أربعة طرق، في الأول قال: حدَّثنا أبو النُّعْمَان، حدَّثنا حَمَّاد بن زياد(١). وفي الثاني قال: حدَّثنا عَمْرو بن علي، حدَّثنا عَبْد الرَّحْمان بن مَهْدِي، حدَّثنا سَلاَّم بن أَبي مُطِيع(٢). وفي الثالث قال: حدَّثنا إِسْحَاق، أخبرنا عَبْد الرَّحْمان بن مَهْدِي، عن سَلاَّم بن أَبي مُطِيع. قال البُخَارِي: سَمِعَ عَبْد الرَّحْمان سَلاَّمًا(٣). وفي الرابع قال: حدَّثنا إِسْحَاق، أخبرنا عَبْد الصَّمَد، حدَّثنا هَمَّام. وقال يَزِيد بن هارون، عن هارون الأَعْوَر(٤).

- والإمام مسلم: من ثلاثة طرق، في الأول قال: حدَّثنا يَحيى بن يَحيى، أخبرنا أبو قُدَامَة، الحارث بن عُبَيْد(٥). وفي الثاني قال: حدَّثني إِسْحَاق بن مَنْصُور، أخبرنا عَبْد الصَّمَد، حدَّثنا هَمَّام(٦). وفي الثالث قال: حدَّثني أحمد بن سَعِيد بن صَخْر الدَّارِمِي، حدَّثنا حَبَّان، حدَّثنا أَبَان(٧).

- والإمام النَّسائي في السنن الكبرى: من ثلاثة طرق، في الأول قال: أخبرنا هارون بن زَيْد بن يَزِيد، قال: حدَّثنا أَبي، قال: حدَّثنا سُفْيان، عن حَجَّاج بن فُرَافِصَة(٨). وفي الثاني قال:

---

(١) صحيح البخاري: كتاب: فضائل القرآن، باب: اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم: ١٩٨/٦ برقم (٥٠٦٠).

(٢) المصدر نفسه برقم (٥٠٦١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: كراهية الخلاف: ١١١/٩ برقم (٧٣٦٤).

(٤) المصدر نفسه برقم (٧٣٦٥).

(٥) صحيح مسلم، كتاب: العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن: ٢٠٥٣/٤ برقم (٦٨٧١).

(٦) المصدر نفسه برقم (٦٨٧٢).

(٧) المصدر نفسه برقم (٦٨٧٣).

(٨) السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، ت ٣٠٣هـ، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ، كتاب: فضائل القرآن، باب: ذكر الاختلاف: ٢٩٠/٧ برقم (٨٠٤٢).

أخبرنا عَمْرو بن علي، قال: حدَّثنا عَبْد الرَّحْمان، قال: حدَّثنا سَلاَّم بن أَبي مُطِيع[1]. وفي الثالث قال: أخبرني عَبْد اللهِ بن الهَيْثَم، قال: حدَّثنا مُسْلم، قال: حدَّثنا هارون بن مُوسَى النَّحْوِي[2].

– والإمام أحمد: من طريق واحد، قال: حدَّثنا عَبْد الرَّحْمان بن مَهْدِي، حدَّثنا سَلاَّم بن أَبي مُطِيع[3].

– والإمام الدارِمي: من طريقين، في الأول قال: حدَّثنا أبو النُّعْمَان، حدَّثنا هارون الأَعْوَر[4]. وفي الثاني قال: حدَّثنا أبو غَسَّان، مالك بن إِسْمَاعِيل، حدَّثنا أبو قُدَامَة[5].

هؤلاء الرواة جميعاً (سَلاَّم بن أبي مطيع[6]، وهارون الأَعْوَر[7]، وأبو قدامة الحارث بن عبيد[8]،

---

(١) السنن الكبرى للنسائي، كتاب: فضائل القرآن، باب: ذكر الاختلاف: ٢٩٠/٧ برقم (٨٠٤٣).

(٢) المصدر السابق: ٢٩١/٧ برقم (٨٠٤٤).

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند الكوفيين، حديث جندب البجلي: ١١٢/٣١ برقم (١٨٨١٦)، قال شعيب الارناؤوط: (حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير سلام بن أبي مطيع فمن رجال مسلم، وقد روى له البخاري هذا الحديث متابعة).

(٤) سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، ت ٢٥٥هـ، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ: كتاب: فضائل القرآن، باب: إذا اختلفتم بالقرآن فقوموا: ٥٣٤/٢ برقم (٣٣٥٩)، قال حسين سليم أسد: (إسناده صحيح، والحديث متفق عليه).

(٥) المصدر نفسه برقم (٣٣٦١)، قال حسين سليم أسد: (إسناده صحيح).

(٦) سلام ابن أبي مطيع أبو سعيد الخزاعي مولاهم البصري، ثقة، من السابعة، مات سنة أربع وستين ومائة، وقيل: بعدها. [تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ: ٢٦١].

(٧) هارون بن موسى الأزدي العتكي مولاهم أبو عبد الله، ويقال أبو إسحاق النحوي البصري الأعور، صاحب القراءات، ثقة، من السابعة. [تقريب التهذيب: ٥٦٩].

(٨) الحارث بن عبيد الإيادي، أبو قدامة البصري، صدوق يخطىء، من الثامنة. [تقريب التهذيب: ١٤٧].

وحَمَّاد بن زَيْد[١]، وهَمَّام بن يحيى[٢]، وأَبَان العَطَّار[٣]، وحَجَّاج بن فُرَافِصَة[٤] رَوَوا الحديث عن أَبي عِمْرَان الجَوْنِي[٥]، عن جندب[٦]، عن رسول الله ﷺ.

---

(١) حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، أبو إسماعيل البصري، ثقة، ثبت، فقيه، قيل: إنه كان ضريرا، ولعله طرأ عليه، لأنه صح أنه كان يكتب، من كبار الثامنة، مات سنة تسع وسبعين ومائة، وله إحدى وثمانون سنة. [تقريب التهذيب: ١٧٨].

(٢) همام بن يحيى بن دينار العَوْذِي، المحلمي مولاهم، أبو عبد الله أو أبو بكر البصري، ثقة، ربما وهم، من السابعة، مات سنة أربع أو خمس وستين ومائة. [تقريب التهذيب: ٥٧٤].

(٣) أبان بن يزيد العطار البصري، أبو يزيد، ثقة، له أفراد، من السابعة، مات في حدود الستين ومائة. [تقريب التهذيب: ٨٧].

(٤) حجاج بن فرافصة الباهلي البصري، صدوق، عابد، يهم، من السادسة. [تقريب التهذيب: ١٥٣].

(٥) أبو عمران الجوني، عبد الملك بن حبيب الأزدي أو الكندي، البصري، مشهور بكنيته، ثقة، من كبار الرابعة، روى عن جندب بن عبد الله البجلي، وأنس، وأبي فراس ربيعة بن كعب الأسلمي، وغيرهم، وروى عنه ابنه عبيد، وأبو عامر الخزاز، وشعبة، وآخرون، قال ابن معين: ثقة، مات سنة ثمان وعشرين ومائة. [ينظر: تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ: ٣٨٩/٦، وتقريب التهذيب: ٣٦٢].

(٦) الصحابي الجليل جندب بن عبد اللّه بن سفيان البجلي ثم العلقي، أبو عبد اللّه ﷺ، له صحبة ليست بالقديمة، يكنى أبا عبد الله، سكن الكوفة ثم انتقل إلى البصرة؛ قدمها مع مصعب بن الزبير، وروى عنه أهل المصرين، ومنهم الحسن، ومحمد وأنس ابنا سيرين، وأبو عمران الجوني، وله رواية عن أبي بن كعب، وحذيفة، مات بعد الستين. [ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري، عز الدين ابن الأثير، ت ٦٣٠هـ، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ: ٥٦٦/١. والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت٧٤٨هـ، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ: ٢٩٨/١. والإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ: ٦١٣/١. وتقريب التهذيب: ١٤٢.

۞= الروايات الموقوفة:

١. عَنْ أَبِي عِمْرَانَ عَنْ جُنْدَبٍ قال: ((اقْرَؤُوا القرآن مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ))، أخرجه الدارمي، قال: أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ بن يحيى، فذكره[١].

٢. عن عبد الله بن الصامت عن عمر ﷺ قال: (اقْرَءُوا القرآن مَا ائْتَقَفْتُمْ عَلَيْهِ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا)، أخرجه النسائي في الكبرى، قال: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَزْرَقُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَوْنٍ[٢]، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ عُمَرُ.. الحديث[٣].

المطلب الثاني: الرواية الراجحة

تبينت لنا من خلال هذا السبر الرواياتُ المرفوعةُ من الموقوفة، وإن لم يكن ثمة اختلافٌ لفظيٌ يُذْكَرُ فيما بينها، والحق أنه يكفينا اطمئناناً أنَّ الرواية المرفوعة المتصلة هي مما اتفق عليه الشيخان الجبلان البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى، فضلاً عن كون أكثر الأئمة على أن الصواب رواية من رواه عن أبي عمران، عن جندب مرفوعًا؛ فقد رجَّح ذلك البخاري ومسلم فأخرجاه في صحيحهما[٤]، بل قال البخاري عقب روايته للحديث من طريق حَمَّاد بن زَيْد في صحيحه: (وقال ابن عَوْن: عن أَبِي عِمْرَان، عن عَبْد اللهِ بن الصَّامِت، عن عُمَر قَوْلَهُ، وجُنْدب أصح وأكثر)[٥]، وقال الخطيب البغدادي: ((وروي عن حماد مرفوعًا

---

(١) المصدر نفسه برقم (٣٣٦٠)، قال حسين سليم أسد: (إسناده صحيح، وهو موقوف على جندب).

(٢) عبد الله بن عون بن أرطبان، أبو عون البصري، ثقة، ثبت، فاضل، من السادسة، مات سنة خمسين ومائة على الصحيح. [تقريب التهذيب: ٣١٧].

(٣) السنن الكبرى للنسائي، كتاب: فضائل القرآن، باب: ذكر الاختلاف: ٢٩١/٧ برقم (٨٠٤٥).

(٤) مسند الإمام أحمد بتحقيق شعيب الارناؤوط، مسند الكوفيين، حديث جندب البجلي: ١١٢/٣١ برقم (١٨٨١٦)، والتفسير من سنن سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، ت٢٢٧هـ، تحقيق: سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصميعي، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ: ٤٩٦/٢.

(٥) صحيح البخاري: كتاب: فضائل القرآن، باب: اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم: ١٩٨/٦.

مُجَوَّدًا من غير شك))[١]، وعقّب الحافظ ابن حجر[٢] على قول البخاري، فقال: ((أَيْ أَصَحُّ إِسْنَادًا وَأَكْثر طرقا، وَهُوَ كَمَا قَالَ، فَإِنَّ الْجَمَّ الْغَفِيرَ رَوَوْهُ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ عَنْ جُنْدُبٍ إِلَّا أَنَّهُمُ اخْتَلَفُوا عَلَيْهِ فِي رَفْعِهِ وَوَقْفِهِ، وَالَّذِينَ رَفَعُوهُ ثِقَات حفاظ فَالْحكم لَهُم، وَأما رِوَايَة ابن عَوْنٍ فَشَاذَّةٌ لَمْ يُتَابَعْ عَلَيْهَا، وَالصَّوَابُ عَنْ جُنْدُب، وَإِنَّمَا تَوَارَدَ الرُّوَاةُ عَلَى طَرِيقِ جُنْدُبٍ لعلوها وَالنَّصْرِيح يرفعها))[٣].

لذلك سنعتمد رواية الرفع، وسنختار أكثرَها ألفاظاً بين الروايات السبعِ المرفوعة، وهي:

((اقْرَؤُوا القرآن مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا عَنْهُ)).

(١) تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، ت٤٦٣هـ، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ: ٣٧٦/٥.

(٢) ابن حَجَر أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حَجَر، من أئمة العلم والتاريخ، حافظ الإسلام في عصره، كان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه، أما تصانيفه فكثيرة جليلة، منها (الإصابة في تمييز أسماء الصحابة) و(تهذيب التهذيب)، و(نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر)، توفي سنة ٨٥٢هـ. [ينظر: الأعلام للزركلي: ١٧٨/١].

(٣) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت٨٥٦هـ، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ: ٩/ ١٠٢، بتصرف.

المبحث الثاني

الفوائد المستنبطة

المطلب الاول: ضرورة الائتلاف بالقرآن والنهي ليس خاصاً بزمن النبي ﷺ

يشير المعنى العام للحديث، إلى أن النبي ﷺ يَحُضُّ أصحابَه وأمتَه أنْ يقرؤوا القرآن متوحدين القلب والقالب، وأن ينتبهوا إلى أن أدنى اختلافٍ فيه قد يؤثر في وحدتهم، فقَوْله ﷺ: ((اقرؤوا القرآن)) يظهر أنه أمر جماعي، متعلق بالقراءة الجماعية أكثر من تعلقه بالقراءة المنفردة، بدليل ما بعده في قوله ﷺ ((فإذا اختلفتم))، وليس المقصود الأكبر منه قراءة الواحد مع نفسه، كما هو الحال في أوامر الشارع بصيغة الجمع، كـ((أقيموا الصلاة)) فإن معناها أقيموها فرادى وجماعات، والمراد هنا اقرؤوا القرآن ما دامت قلوبكم ألفةً لقراءته، محبةً لها، آنسةً بها[1]، وقوله ﷺ ((مَا ائتلفت))، أَي: مَا توافقت عَلَيْهِ الْقِرَاءَة[2]، واجتمعت، ولم تختلفوا فيه، يقال: ائتلف الشيء يأتلف ائتلافًا، فهو مؤتلف إذا اجتمع، وأَلَّفْتُ وأَلَّفْتُه: جمعته، ومنه قوله تعالى: ((فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ))[3]، أي: جمعها بعد الشتات، وجاء الفعل هنا في الاجتماع على القرآن والنهي عن الاختلاف فيه[4].

قَالَ القاضي عِيَاضٌ[5]: (يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ النَّهْيُ خَاصا بِزَمَنِه ﷺ لِئَلَّا يَكُونَ ذَلِكَ سَبَبًا لِنُزُولِ مَا يَسُوؤُهُمْ كَمَا فِي قَوْلِه تَعَالَى: ((لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ))[1]،

---

(١) التَّنوِيرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ، محمد بن إسماعيل بن صلاح الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، ت١١٨٢هـ، تحقيق: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ: ٦٠٦/٢.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، ت ٨٥٥هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٧٦/٢٥.

(٣) [آل عمران: ١٠٣].

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ت٣٧٠هـ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م: ٢٧٣/١٥، ولسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى، ت٧١١هـ، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة: ١٩٠/١، وتاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، ت١٢٠٥هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية: ٣٧/٢٣، بتصرف.

(٥) القاضي عِيَاض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، ولي

ولِأَنَّهُ كَانَ حَاضراً فاختلافهم فِي تِلَاوَة أو معنى؛ لَا معنى للتشاجر فِيهِ وَهُوَ ﷺ بَين أظهرهم يجب سُؤَالهمْ لَهُ وكشف اللّبْس لَا غير ذَلِك)[٢]، ورد المناوي[٣]: (ولا اتجاه لزعم تخصيص إلهي بزمن المصطفى ﷺ لئلا ينزل ما يسوؤهم)[٤]. وفَسَّرَهُ شرف الدين الحسين بن محمد الطِّيِّبِيّ[٥]،

قضاء سبتة، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة، من تصانيفه: (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ) و(ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك) و(شرح صحيح مسلم) و(الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع)، وتوفي بمراكش ٥٤٤هـ. [ينظر: الأعلام للزركلي: ٩٩/٥].

(١) [المائدة: ١٠١].

(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، أبو الفضل، ت ٥٤٤هـ، المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث، بيروت: ٣١/١.

(٣) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، زين الدين، من كبار العلماء بالدين والفنون، انزوى للبحث والتصنيف، له نحو ثمانين مصنفا، من كتبه (كنوز الحقائق)، و(فيض القدير) و(شرح الشمائل للترمذي)، عاش في القاهرة، وتوفي بها سنة ١٠٣١هـ. [ينظر: الأعلام للزركلي: ٢٠٤/٦].

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد (عبد الرؤوف) بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري، ت ١٠٣١هـ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ: ٦٣/٢.

(٥) ينظر: الكاشف عن حقائق السنن (شرح الطيبي على مشكاة المصابيح)، شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي، ت٧٤٣هـ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الاولى، ١٤١٧هـ: . والطيبي: هو الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين، قال ابن حجر: كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن. من تصانيفه: التبيان في المعاني والبيان، والخلاصة في أصول الحديث، وشرح مشكاة المصابيح، والكاشف عن حقائق السنن النبوية، توفي سنة ٧٤٣هـ. [ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ: ١٨٥/٢، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، ت١٠٨٩هـ، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ: ٢٣٩/٨].

وكذا تبعه بدر الدين العيني[١]، والمُلّا علي القاري[٢]: (بأنه مَا دَامَتْ قُلُوبُكُمْ وَخَوَاطِرُكُمْ مَجْمُوعَةً لِذَوْقِ قِرَاءَتِهِ ذَاتُ نَشَاطٍ وَسُرُورٍ عَلَى تِلَاوَتِهِ).

وَقَالَ شمس الدين الْكَرْمَانِي[٣]: (الظَّاهِر أَن المُرَاد اقْرَءُوا القرآن مَا دَامَ بَين أَصْحَاب الْقِرَاءَة ائتلاف، فَإِذا حصل اخْتِلَاف فَقومُوا عَنهُ)[٤].

فما دمتم نشطين وقلوبكم حاضرة وخواطركم مجتمعة فاقرؤوه[٥]، وإلا فإنَّه أَمَرَهُم بالقيام حال الاختلاف.

قال الحافظ ابن حجر: (فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِي فَهْمِ مَعَانِيهِ فَقُومُوا عَنْهُ، وتَفَرَّقُوا لِئَلَّا يَتَمَادَى بِكُمْ الِاخْتِلَافُ إلى الشَّرّ)[٦].

وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَنَّهُ ﷺ أَرْشَدَ وَحَضَّ أُمَّتَهُ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ إِذَا كَانَتَ الْقُلُوبُ مُجْتَمِعَةً عَلَى تِلَاوَتِهِ، مُتَفَكِّرَةً فِيهِ، مُتَدَبِّرَةً لَهُ، لَا فِي حَالِ شُغْلِهَا وَمَلَالِهَا، فَإِنَّهُ لَا يَحْصُلُ الْمَقْصُودُ مِنَ

---

(١) عمدة القاري للعيني: ٦٢/٢٠، والعيني: هو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي، مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين، من كتبه (مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار)، و(العلم الهيب في شرح الكلم الطيب)، و(البناية في شرح الهداية)، توفي بالقاهرة سنة ٨٥٥هـ. [ينظر: الأعلام للزركلي: ١٦٣/٧].

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، ت١٠١٤هـ، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ: ١٤٩٦/٤، والقاري: هو المُلّا علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملّا الهروي القاري، فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره، سكن مكة وتوفي بها سنة ١٠١٤هـ، وصنف كتبا كثيرة، منها (تفسير القرآن)، (شرح مشكاة المصابيح)، و(شرح مشكلات الموطأ). [ينظر: الأعلام للزركلي: ١٢/٥].

(٣) محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني، عالم بالحديث، اشتهر في بغداد، وأقام مدة بمكة، له مصنفات، منها: (ضمائر القرآن) و(النقود والردود في الأصول)، و(شرح لمختصر ابن الحاجب) سماه (السبعة السيارة)، مات راجعاً من الحج في طريقه إلى بغداد، ودفن فيها سنة ٧٨٦هـ. [ينظر: الأعلام للزركلي: ١٥٣/٧].

(٤) مرقاة المفاتيح للقاري: ١٤٩٦/٤.

(٥) صحيح مسلم: كتاب: فضائل القرآن، باب: ((اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم)) ١٩٢٩/٤ برقم (٤٧٧٣).

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت٨٥٦هـ، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ: ١٠١/٩.

التِّلَاوَةِ بِذَلِكَ كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ ﷺ: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ))[١].

وَفِيه أيضاً الْحَضُّ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَالْأُلْفَةِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الْفُرْقَةِ وَالِاخْتِلَافِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمِرَاءِ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَمِنْ شَرِّ ذَلِكَ أَنْ تَظْهَرَ دَلَالَةُ الْآيَةِ عَلَى شَيْءٍ يُخَالِفُ الرَّأْيَ، فَيُتَوَسَّلُ بِالنَّظَرِ وَتَدْقِيقِهِ إِلَى تَأْوِيلِهَا وَحَمْلِهَا عَلَى ذَلِكَ الرَّأْيِ، وَيَقَعُ اللَّجَاجُ فِي ذَلِكَ، وَالْمُنَاضَلَةُ عَلَيْهِ[٢]، كما دل هذا الحديث جملة فوائد، منها:

أولاً: تحري قراءة القرآن عند توفر النشاط والرغبة النفسية في تلاوته، لأن القراءة مع حضور القلب لها أثرها العميق في نفس القارئ ووجدانه.

ثانياً: أنه إذا وقع الاختلاف في معنى من معاني القرآن أو قراءة من قراءَاته، واشتد حتى أوشك أن يؤدي إلى النزاع والشقاق وجب الإمساك عنه، وضبط النفس قدر الإمكان[٣].

المطلب الثالث: ((فإذا اختلفتم)) : توجيه معنى الاختلاف وأنواعه

أشار النبي ﷺ إلى إمكانية وقوع الاختلاف بين قراء القرآن، وأرشد إلى المَخْرَجِ منه وهو القيام، ولم يتعرض الحديث إلى سبب هذا الاختلاف، وكأن النبي ﷺ يريد أن يقول إنَّ أي اختلاف يقع بأي سببٍ كان؛ وجب عليكم القيام عنه.

ولقد قيل: لعله الاختلاف في حروفه؛ لما يؤول الاختلاف فيها بالمختلفين مِنْ رَدِّ بعضهم ما يقرؤه بعضٌ، وجحده له، مع أنه قرآن كله نزل على حروف سبعة، وقد كان ذلك وظهر في زمان الصحابة[٤]، كما في حديث عمر بن الخطاب ﷺ في اختلافهم في أحرف القراءة، قال عمر ﷺ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت٧٧٤هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ: ٨٨/١، والحديث أخرجه البخاري، كتاب: اللباس، باب: الجلوس على الحصير ونحوه: ١٥٥/٧ برقم (٥٨٦١)، ومسلم، كتاب: الصيام، باب: صيام النبي ﷺ في غير رمضان ١٦١/٣ برقم (٢٧٧٩).

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر: ٩/ ١٠٢.

(٣) ينظر: منار القاري، حمزة محمد قاسم: ٥/ ٨٩.

(٤) ينظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قُرْقُول، ت٦٩هـ، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، لطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ: ٢٥٩/١.

مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَقْرَأَنِيهَا، وَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ الله ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا، فَقَالَ لِي: أَرْسِلْهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اقْرَأْ، فَقَرَأَ، قَالَ: هَكَذَا أُنْزِلَتْ، ثُمَّ قَالَ لِي: اقْرَأْ، فَقَرَأْتُ، فَقَالَ: ((هَكَذَا أُنْزِلَتْ، إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ))[1].

أو لعله أراد الاختلاف في تأويله بالرأي والاجتهاد فيما لا يسوغ في الاجتهاد؛ حتى يؤول ذلك بهم إلى الافتراق في العقائد، واختلاف المذاهب[2].

وعليه فإنَّ أهل العلم بيَّنوا أنَّ مجملَ الأسباب لنشوب الاختلاف في قراءة القرآن الكريم ثلاثةٌ، وهي:

١. الاختلاف في تأويل النصوص وعَرَضِ عارضِ الشبهة مِنْ متشابهه:

وإلى هذا الرأي ذَهَبَ القاضي عياض حيث قال: (وَيَحْتَمِلُ: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى اقْرَءُوا وَالْزَمُوا الائْتِلَافَ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ وَقَادَ إِلَيْهِ، فَإِذَا وَقَعَ الاخْتِلَافُ أو عَرَضَ عَارِضُ شُبْهَةٍ يَقْتَضِي الْمُنَازَعَةَ الدَّاعِيَةَ إلى الافْتِرَاقِ، فَاتْرُكُوا الْقِرَاءَةَ، وَتَمَسَّكُوا بِالْمُحْكَمِ الْمُوجِبِ لِلأُلْفَةِ، وَأَعْرِضُوا عَنِ الْمُتَشَابِهِ الْمُؤَدِّي إلى الْفُرْقَةِ)[3].

وهو كقوله ﷺ في حديث عائشة، قالت: تَلا رَسُولُ الله ﷺ: ((هُوَ الَّذِي انْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أم الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ. وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ امَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الالْبَابِ))[4]. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((إِذَا رَايْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَاُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّه، فَاحْذَرُوهُمْ))[5].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب: الخصومات، باب: كلام الخصوم بعضهم في بعض: ٨٥١/٢ برقم (٢٢٨٧)، ومسلم: كتاب: الصلاة، باب: إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف: ٢٠٢/٢ برقم (١٩٣٦).

(٢) ينظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ابن قُرْقُول: ٢٥٩/١.

(٣) فتح الباري لابن حجر: ١٠١/٩.

(٤) [آل عمران: ٧].

(٥) أخرجه البُخَارِي، كتاب: التفسير، باب: سورة آل عمران: ١٦٥٥/٤ برقم (٤٢٧٣)، ومسلم، كتاب: العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن: ٥٦/٨ برقم (٦٩٤٦).

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ[١]: (وَقِيلَ إِنَّمَا جَاءَ هَذَا فِي الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ فِي الْآيَاتِ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ الْقَدَرِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْمَعَانِي عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْكَلَامِ وَأَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ وَالْآرَاءِ)[٢].

٢. الاختلاف في تلاوة الأحرف القرآنية، وترتيل كلماته:

فقد يقع الاختلاف باختلاف القراءات المتلقاة عن رسول الله ﷺ.

قال القاضي: (وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ ﷺ يَنْهَى عَنِ الْقِرَاءَةِ إِذَا وَقَعَ الِاخْتِلَافُ فِي كَيْفِيَّةِ الْأَدَاءِ بِأَنْ يَتَفَرَّقُوا عِنْدَ الِاخْتِلَافِ وَيَسْتَمِرَّ كُلٌّ مِنْهُمْ عَلَى قِرَاءَتِهِ)[٣]، ومثله حديث ابن مَسْعُودٍ لَمَّا وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّحَابِيِّ الْآخَرِ الِاخْتِلَافُ فِي الْأَدَاءِ، فَتَرَافَعُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَيَّدَهُما جميعاً، فعن عَبْدِ اللَّهِ قال: سَمِعْتُ رَجُلاً قَرَأَ آيَةً سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ خِلاَفَهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَأَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ ((كِلاَكُمَا مُحْسِنٌ)). قَالَ شُعْبَةُ: أَظُنُّهُ قَالَ: ((لاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا))[٤]. ثم رَجَّحَ الحافظ ابن حجر هذا الرأي قائلاً: (وَبِهَذِهِ النُّكْتَةِ تَظْهَرُ الْحِكْمَةُ فِي ذِكْرِ حَدِيثِ ابن مَسْعُودٍ عُقَيْبَ حَدِيثِ جُنْدُبٍ)[٥].

وهذا الاختلاف الناشئ عن اختلاف الأحرف كثُر واشتد حتى انتهى بجمع القرآن الكريم على حرف واحد، فعن زيد بن ثابت ﷺ أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ ﷺ قَدِمَ مِنْ غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَلَمْ يَدْخُلْ بَيْتَهُ حَتَّى أَتَى عُثْمَانَ ﷺ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ النَّاسَ! فَقَالَ عُثْمَانُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: غَزَوْت فَتح أَرْمِينِيَةَ، فَحَضَرَهَا أَهْلُ الْعِرَاقِ وَأَهْلُ الشَّامِ، فَإِذَا أَهْلُ الشَّامِ يقرؤون بِقِرَاءَةِ أُبَيٍّ، فَيَأْتُونَ بِمَا لَمْ يَسْمَعْ أَهْلُ الْعِرَاقِ، فَيُكَفِّرُهُمْ أَهْلُ الْعِرَاقِ، وَإِذَا أَهْلُ الْعِرَاقِ يقرؤون

---

(١) أَبُو عُبَيْد القاسم بن سلاَّم الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، من كتبه: (الغريب المصنف) في غريب الحديث، و(الأجناس من كلام العرب) و(الايمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته)، توفي سنة ٢٢٤هـ. [ينظر: الأعلام للزركلي: ١٧٦/٥].

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير بن علي، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، ت ١٣٢٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ: ٢٣١/١٢.

(٣) فتح الباري لابن حجر: ١٠١/٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الخصومات، باب: مايذكر في الأشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهودي: ٨٤٩/٢ برقم (٢٢٧٩).

(٥) فتح الباري لابن حجر: ١٠١/٩.

بِقِرَاءةِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَيَأْتُونَ بِمَا لَمْ يَسْمَعْ أَهْلُ الشَّامِ، فَيُكَفِّرُهُمْ أَهْلُ الشَّامِ. قَالَ زَيْدٌ: فَأَمَرَنِي عُثْمَانُ ﷺ أَنْ أَكْتُبَ لَهُ مُصْحَفًا(١).

وقَالَ أَبُو عُبَيْد: (لَيْسَ وَجْهُ الْحَدِيثِ عِنْدَنَا عَلَى الاخْتِلَافِ فِي التَّأْوِيلِ، وَلَكِنَّهُ عَلَى الاخْتِلَافِ فِي اللَّفْظِ، وَهُوَ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ عَلَى حَرْفٍ، فَيَقُولَ الْآخَرُ لَيْسَ هُوَ هَكَذَا، وَلَكِنَّهُ عَلَى خِلَافِهِ، وَكِلَاهُمَا مُنَزَّلٌ مَقْرُوءٌ بِهِ، فَإِذَا جَحَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قِرَاءَةَ صَاحِبِهِ لَمْ يُؤْمَنْ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ يُخْرِجُهُ إِلَى الْكُفْرِ لِأَنَّهُ نَفَى حَرْفًا أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ)(٢).

ولذلك ذهب بعضهم إلى أنَّ الحديث خاصٌ بزمن الصحابة الكرام الذين عاينوا أحرف القرآن السبعة، ومنهم القاضي عياض كما ذكرنا(٣)، وابن الجوزي، فقد قال: (كان اختلاف الصحابة يقع في القراءات واللغات، فأُمِرُوا بالقيام عند الاختلاف، لئلا يجحد أحدهم ما يقرأه الآخر، فيكون جاحداً لما أنزل الله)(٤).

وقد بَيَّنَا أنَّ المناوي قد استبعد هذا الرأي، وإنْ كان توجيهُ الحديثِ يبدأُ بالصحب الكرام ويسري إلى سائر الأمة حتى قيام الساعة.

٣. الاختلاف بوقوع الملل وتفرُّقِ الخواطر والكسل:

وقد يقع الاختلاف بحصول الملالة وتشتت الخواطر وتكاسل الابدان، قال العيني: ((فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ))، أي: اخْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ وَمَلِلْتُمْ وَتَفَرَّقَتْ خَوَاطِرُكُمْ وَكَسِلْتُمْ، ((فَقُومُوا عَنْهُ))، أي فَاتْرُكُوهُ(٥).

وذهب الكشميري إلى أن الأسباب كلها مقصودة، وأنَّ الغاية أنْ لا يقع الاختلاف؛ وإنْ وقع فَيُصَارُ على الفور إلى الائتلاف أو القيام عن القرآن، قال: (كنا نرى أنَّ معنى قوله ﷺ: ((فإذا اختلفتم فقوموا عنه))، أي: مللتم عن قراءته، ثُم تَبيّن من الروايات أنَّ مرادَ الائتلافِ والاختلافِ هو ظهورُ النزاع في مجلس القراءة وعدمُه، أي اقرءوا القرآن ما دامت

---

(١) رواه الطحاوي، [شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري المعروف بالطحاوي، ت٣٢١هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ: ١٢٨/٨]، وذكره ابن حجر في الفتح: ١٨/٩.

(٢) عون المعبود للعظيم آبادي: ٢٣١/١٢.

(٣) فتح الباري لابن حجر: ١٠١/٩.

(٤) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، مراجعة:عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، مكتبة المؤيد، الطائف، ١٤١٠ هـ: ٨٩/٥.

(٥) مرقاة المفاتيح للقاري: ١٤٩٦/٤.

القلوبُ مؤتلفةً بَعْضُها ببعض، فإذا ظهر بين المجلس اختلافٌ وانشقاق فتعوذوا بالله، وقوموا)[١].

۞ الاختلاف في قراءة القرآن نوعان:

١. الاختلافُ المُفْضِي إلى ما لا يجوز:

الاخْتِلَاف فِي القرآن مَحْمُولٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ عَلَى اخْتِلَافٍ لَا يَجُوزُ أو اختلاف يُوقِعُ فِيمَا لَا يَجُوزُ كَاخْتِلَافٍ فِي نَفْسِ القرآن أو فِي مَعْنًى مِنْهُ لَا يُسَوَّغُ فِيهِ الِاجْتِهَادُ أو اخْتِلَافٍ يُوقِعُ فِي شَكٍّ أو شبهة أو فتنة وخصومة أو شجار وَنَحْوِ ذَلِكَ[٢]. وهذا هو المنهي عنه بنص الحديث الشريف، وهو مذموم بكل احواله وألوانه وأشكاله.

٢. الاختلافُ المُثْمِرُ في استنباط الفروع والمسائل:

أَمَّا الِاخْتِلَافُ فِي اسْتِنْبَاطِ فُرُوعِ الدِّينِ مِنْهُ، وَمُنَاظَرَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْفَائِدَةِ، وَإِظْهَارِ الْحَقِّ، وَاخْتِلَافُهُمْ فِي ذَلِكَ فَلَيْسَ مَنْهِيا عَنْهُ، بَلْ هُوَ مَأْمُورٌ بِهِ، وَفَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هَذَا مِنْ عَهْدِ الصَّحَابَةِ إلى الْآنَ[٣].

وقَالَ أَبُو عُبَيْد: (أما الاختلاف فيما تَضَمَّنَتْهُ – الآيات – مِنَ الْأَحْكَامِ وَأَبْوَابِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فَإِنَّ ذَلِكَ قَدْ جَرَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ فَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَذَلِكَ فِيمَا يَكُونُ الْغَرَضُ مِنْهُ وَالْبَاعِثُ عَلَيْهِ ظُهُورَ الْحَقِّ لِيُتَّبَعَ دُونَ الْغَلَبَةِ وَالتَّعْجِيزِ)[٤].

وقَالَ ابْنُ مَلَكٍ[٥]: (فَإِنَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُقْرَأَ بِغَيْرِ حُضُورِ الْقَلْبِ أو الْمُرَادُ اقْرَءُوا مَا دُمْتُمْ مُتَّفِقِينَ عَلَى تَصْحِيحِ قِرَاءَتِهِ وَتَحْقِيقِ أَسْرَارِ مَعَانِيهِ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِي ذَلِكَ فَاتْرُكُوهُ لأَنَّ

---

(١) فيض الباري شرح البخاري، محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي، ت ١٣٥٣هـ، مكتبة مشكاة الإسلامية: ٤٦٣/٦.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت٦٧٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ: ٢١٩/١٦.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) عون المعبود للعظيم آبادي: ٢٣١/١٢.

(٥) ابن مَلَك: عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين بن فرشتا الكرماني، المعروف بابن ملك، فقيه حنفي، من المبرزين، له كتب، منها: (مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار)، (شرح مجمع البحرين لابن الساعاتي) و(شرح المنار)، توفي سنة ٨٠١هـ. [ينظر: الأعلام للزركلي: ٤/ ٥٩].

الاخْتِلَافَ يُفْضِي إلى الْجِدَالِ وَالْجِدَالُ إلى الْجُحُودِ وَتَلَبُّسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، أَعَاذَنَا اللَّهُ بِفَضْلِهِ مِنْ ذَلِكَ)[1].

فهذا النوع ليس شاهدَنا من البحث، بل هو الأساس في سر استيعاب الفقه الاسلامي لشؤون الانسانية كلها وشموليته لكل حال في كل عصر ومصر، وتفاعله مع النوازل بجميع أنواعها.

وعلى نحو هذا الفهم فلو أن جمعاً من أهل العلم والفقه والذكر جلسوا جلسة مذاكرة وتفقه واستنباط، ثم لم يتفقوا بل اختلفوا اختلافا أفضى إلى تنازع فعليهم أن يقوموا ويعودوا في وقت آخر، وعليهم بذل الجهد في استخراج كنوز القرآن والسنة التي فيها الحل لكل مشكل، كما عليهم التعالي عن الاختلافات التي تضعف قواهم اكثر مما يقويها اجتماعهم لحل مسألة.

المطلب الرابع: في القيام الوارد قولان: (القيام عن القراءة والقيام عن الاختلاف)

في القيام الوارد في الحديث الشريف ((فقوموا عنه)) قولان:

جاءت في رواية البخاري والنسائي زيادةٌ في قوله ﷺ: ((فقوموا عنه))، والضمير في ((عنه))، هل يعود على القرآن والقراءة أو على الاختلاف؟، وبناءً عليه ظَهَرَ لنا قولان في المقصود مِنْ القيام، وهما:

١. القيام عن القراءة والقرآن الكريم:

ذهب كثير من العلماء إلى أنَّ الضمير عائدٌ على القرآن، وأنَّ المراد: قوموا عن القرآن وقرأته حتى يرجع اليكم ائتلافُكم، وقد نبذتم اختلافَكم عنكم، ومِنْ هؤلاء القاضي عياض، قَال: (فَإِذَا وَقَعَ الاخْتِلَافُ أو عَرَضَ عَارِضُ شُبْهَةٍ يَقْتَضِي الْمُنَازَعَةَ الدَّاعِيَةَ إلى الافْتِرَاقِ فَاتْرُكُوا الْقِرَاءَةَ)[2]، والعيني، قال: ((فَقُومُوا عَنْهُ))، أي فَاتْرُكُوهُ[3]، وابْنُ مَلَك، قال: (اقْرَءُوا مَا دُمْتُمْ مُتَّفِقِينَ عَلَى تَصْحِيحِ قِرَاءَتِهِ وَتَحْقِيقِ أَسْرَارِ مَعَانِيهِ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِي ذَلِكَ فَاتْرُكُوهُ لأَنَّ الاخْتِلَافَ يُفْضِي إلى الْجِدَالِ وَالْجِدَالُ إلى الْجُحُودِ وَتَلَبُّسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، أَعَاذَنَا اللَّهُ بِفَضْلِهِ مِنْ ذَلِكَ)[4]، والقسطلاني، قال: (فاتركوا القراءة وتمسكوا بالمُحَكَم الموجب للألفة)[5].

---

(١) مرقاة المفاتيح للقاري: ١٤٩٦/٤.

(٢) فتح الباري لابن حجر: ١٠١/٩.

(٣) مرقاة المفاتيح للقاري: ١٤٩٦/٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني أبو العباس، شهاب الدين، ت ٩٢٣هـ، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ: ٤٨٧/٧.

ومِنْ المعاصرين مصطفى البغا، قال: (فإذا اضطرب فهمكم لمعانيه بسبب الملل فاتركوا القراءة حتى يذهب عنكم ما أنتم فيه)[١].وهذا تنبيهٌ بليغٌ في كيفية التعامل مع الأعمال وأثارها وثمارها، حيث قَدَّمَ النبيُّ ﷺ الأهمَ على المهم والأفضلَ على الفاضل باعتبار أَنَّ وحدة المسلمين أهم من قراءة القرآن، فلما صار النفل وهو قراءة القرآن مدعاةً لترك الفرض، وهو الوحدة؛ تَغَيَّرَ حُكْمُهُ مِنْ النفل إلى الكراهة على أقلِّ تقدير إنْ لم نقل بالتحريم، وهو قول ابن بطال[٢].

٢. القيام عن الاختلاف:

أما القيام عن الاختلاف فقد ذهب إليه العيني، قال: (وَعند حُدُوث الشُّبْهَة الَّتِي توجب الْمُنَازعَة فِيهِ أَمرهم بِالْقيامِ عَن الِاخْتِلَاف وَلم يَأْمُرهُم بترك قِرَاءَة القرآن)[٣]، وابن بطال، وأشار إلى أنَّ القيام عن الاختلاف أولى من القيام عن القراءة إذ الغاية أنْ ينتهوا عن اختلافهم لا أنْ ينتهوا عن القراءة، فقال: (لأنَّه أَمَرَهُم بالائتلاف على ما دلَّ عليه القرآن وحذَّرهم الفرقة، فإذا حدثت شبهةٌ تُوْجِبُ المنازعة فيه أَمَرَهُم بالقيام عن الاختلاف ولم يَأْمُرْهم بترك قراءة القرآن إذا اختلفوا فى تأويله لإجماع الأمة على قراءة القرآن لِمَنْ فَهِمَهُ ولِمَنْ لمْ يَفْهَمْه، فَدَلَّ أَنَّ قولَه ﷺ: ((فقوموا عنه)) على وجه الندب لا على وجه التحريم للقراءة عند الاختلاف)[٤].

وذكر ابن بطال أيضاً أنَّ النبي ﷺ لم يأمر ابنَ مسعودٍ ومُخَالِفَه بترك القراءة بل أذنَ لهما أنْ يقرأ كُلٌّ منهما بقراءته، لأنه ﷺ قال لابن مسعود والرجل الذى أنكر عليه مخالفته له في القراء: ((كلاكما محسن))، فدل أنه لم ينهه عما جعله فيه محسناً، وإنما نهاه عن الاختلاف المؤدى إلى الهلاك بالفرقة فى الدين)[٥].

---

(١) صحيح البخاري بتحقيق مصطفى البغا: كتاب: فضائل القرآن، باب: ((اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم)) ١٩٢٩/٤ برقم (٤٧٧٣).

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، ت٤٤٩هـ، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ: ٣٩٦/١٠، وابن بطال: هو علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن: عالم بالحديث، من أهل قرطبة، له (شرح البخاري)، توفي سنة ٤٤٩هـ. [ينظر: الأعلام للزركلي: ٤/ ٢٨٥].

(٣) عمدة القاري للعيني: ٧٦/٢٥.

(٤) شرح صحيح البخارى لابن بطال: ٣٩٥/١٠.

(٥) المصدر السابق: ٢٨٥/١٠، بتصرف.

وأقول.. ينطبق كلام ابن بطال تماما بتمام على المختلفين بسبب اختلاف القراءات وتغاير الأحرف السبعة وهو سبب واحد من ثلاثة أسباب للاختلاف في القراءة كما مر معنا.

أما مع السببين الاخريين فقد لا يتفق كلامه معهما حينئذ، ذلك لأنَّ الاختلاف بالتأويل إذا وقع واستمر المختلِفان بالقراءة فهو زيادةٌ لتباعدهما ولتباينِ أرائهما؛ وهو عين الاختلاف المنهي عنه، وأما إذا كان السبب وقوعَ الملل وتَفَرُقَ الخواطر فإنَّ القيام حتماً خيرٌ مِنْ ادامة القراءة لأنَّ القراءة بدون حضور القلب والذهن مع وجود الفتور والتكاسل يُضَيِّعُ منفعةَ القراءة وحلاوتَها.

مِنْ أجل ذلك كلِّه فإنَّ كفةَ الترجيح يبدو ميلانُها نحو الرأي الأول من نوعي القيام، وهو القيام عن القرآن وقراءته.

الخاتمـــة

بعد استعراض أقوال علمائنا وآراء أئمتنا في هذا الحديث الشريف ومعانيه وفوائده نخلص منها إلى ما يأتي:

وردت للحديث الشريف رواياتٌ مرفوعةٌ وموقوفةٌ، واعتمدنا الروايات المرفوعة لأنه يكفينا اطمئناناً أنَّ الرواية المرفوعة المتصلة هي مما اتفق عليه الشيخان الجبلان البخاري ومسلم واخترنا أكثرَها ألفاظاً بين الروايات السبع المرفوعة، ونصها: ((اقْرَؤُوا القرآن مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا عَنْهُ)).

دلَّ الحديث الشريف على تحري قراءة القرآن الكريم عند توفر النشاط والرغبة النفسية في تلاوته، لأنَّ القراءة مع حضور القلب لها أثرُها العميق في نفس القارئ ووجدانه، وأنه إذا وقع الاختلاف في معنى من معاني القرآن أو قراءة من قراءَاته، واشتد حتى أوشك أن يؤدي إلى النزاع والشقاق وجب الإمساك عنه، وضبط النفس قدر الإمكان(١).

لمَّا كان الاختلاف يؤدي إلى الفرقة المؤدية إلى الهلكة كرهه ﷺ ونهى عنه؛ بل ونهى عن كلِّ سببٍ يؤدي إليه كما في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: ((اقْرَؤُوا القرآن مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا عَنْهُ)).

الاختلاف في قراءة القرآن نوعان:

١. الاختلاف المفضي إلى ما لا يجوز، وهذا هو المنهي عنه بنص الحديث الشريف، وهو مذموم بكل احواله وألوانه وأشكاله.

٢. الاختلاف المثمر في استنباط الفروع والمسائل، وهذا ليس منهياً عنه البتة.

الأسباب الداعية لحدوث الاختلاف لدى قراء القرآن الكريم ثلاثة، وهي:

١. الاختلاف في تأويل النصوص وعَرَضِ عارض الشبهة من متشابهة.

٢. الاختلاف في تلاوة الأحرف القرآنية، وترتيل كلماته، إذ قد يقع الاختلاف باختلاف القراءات المتلقاة عن رسول الله ﷺ.

٣. الاختلاف بوقوع الملل وتفرق الخواطر والكسل.

في القيام الوارد في الحديث الشريف ((فقوموا عنه)) قولان:

١. القيام عن القراءة والقرآن الكريم، وهو الراجح.

٢. القيام عن الاختلاف.

---

(١) منار القاري لحمزة محمد قاسم: ٨٩/٥.

يجدُر بنا ويحسُن أَنْ نختم الخاتمةَ بفحوى كلِّ ما قد ذُكِرَ في طيات هذه الورقات وهو أَنَّ غاية البحث هو البلوغ بادراك المسلمين إلى حقيقة هامة وقناعة تامة بقوله ﷺ: ((إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ بِالِاخْتِلَافِ))[1].

وصلى الله وسلم على رسولنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وأحبابه أجمعين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين....

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، أبو حاتم البُستي، ت ٣٥٤هـ، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، ت ٧٣٩ هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ: باب: قراءة القرآن، ذكر الزجر عن العتب على من قرأ بحرف من الأحرف السبعة: ٢٣/٣ برقم (٧٤٧).

ثبت المصادر

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، أبو حاتم البُستي، ت ٣٥٤هـ، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، ت ٧٣٩ هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر القسطلاني أبو العباس، شهاب الدين، ت ٩٢٣هـ، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري، عز الدين ابن الأثير، ت ٦٣٠هـ، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب، شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت ٧٥١هـ، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ت١٣٩٦هـ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، ت١٢٠٥هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت٧٧٤هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- التَّنوير شَرْحُ الجَامِع الصَّغِير، محمد بن إسماعيل بن صلاح الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير، ت١١٨٢هـ، تحقيق: محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ.
- تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ت٣٧٠هـ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- الجامع الكبير (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى الترمذي، أبو عيسى، ت٢٧٩هـ، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، ت ٢٥٦هـ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت ٢٧٣هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، ت ٢٥٥هـ، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، ت ٣٠٣هـ، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، ت١٠٨٩هـ، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.
- شرح صحيح البخاري لابن بطال، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، ت٤٤٩هـ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.
- شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري المعروف بالطحاوي، ت٣٢١هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، ت ٨٥٥هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير بن علي، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، ت ١٣٢٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت٨٥٦هـ، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- فيض الباري شرح البخاري، محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي، ت ١٣٥٣هـ، مكتبة مشكاة الإسلامية.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد (عبد الرؤوف) بن تاج العارفين بن علي المناوي القاهري، ت ١٠٣١هـ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.
- الكاشف عن حقائق السنن (شرح الطيبي على مشكاة المصابيح)، شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي، ت٧٤٣هـ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الاولى، ١٤١٧هـ.

- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت ٧٤٨هـ، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى، ت٧١١هـ، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، ت١٠١٤هـ، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، ت٢٤١هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت٢٦١هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت٢٦١هـ، تحقيق: مصطفى البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، أبو الفضل، ت ٥٤٤هـ، المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث، بيروت.
- مطالع الأنوار على صحاح الآثار، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قُرْقُول، ت٦٩هـ، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، لطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ.
- معرفة أنواع علوم الحديث، (مقدمة ابن الصلاح)، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، ت٦٤٣هـ، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، ١٤٠٦هـ.
- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، مراجعة: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، مكتبة المؤيد، الطائف، ١٤١٠ هـ.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت٦٧٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.